الجمال

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل

الدكتور احمد أفندى ضيف

الاستاذ بالجامعة المصرية

أكثر الالفاظ دورانا على اللسان وأكثر المعانى جولانا فى الافكار كلمتا الجمال والحب ومعناهما. والحب ومعناه جزء من الجمال . لأن كل حب جميل . أو الحب جزء من جمال الحياة النفسية . والجمال تناسق الوجود بأجمعه

لماذا تميل ان تسكن مسكنا أنيقا ، حسن التنسيق والطلاء ، مستقيم الاركان والزوايا ، ولماذا تميل الى التأنق فى الملبس ولونه ودقة نسجه ، وحسن حياكته ، وتلبس الديباج والذهب والفضة والماس وأنواع الجواهر ، وتمشى معجبا بنفسك؟ولماذا تميل الى الابهة فى حيازة أنواع التأنق والزينة فى الحياة ؟ ذلك لانك تريد ان تكون جميلا ،وان يكون كل شىء فيك ولديك جميلا . اذ انك تعرف ان الجمال يجذب النفوس ويوجه الانظار اليه . لانه يبهر القلوب والعواطف . فتريد ان تكون مظهراً من مظاهر الجمال .

ولماذا تعشق وتتفانى فى الحب وتضحى بكل شىء فى سبيله ؟ ذلك لان العشق أثر جمال النفوس فى النفوس . أو أثر جمال الانسان فى

الانسان. والنفوس اذا تآلفت وتعارفت شعرت بجمال الالفة فى الحياة. لان كل شىء فى الحياة يجرى الى مطلب واحد وهو المثل الاعلى. وذلك هو الجمال. كل شىء يعمله الانسان من حركاته الجسمية والعقلية يدل على انه يحب الجمال ويميل اليه بطبعه.

أما الجمال فهو الكمال أو الابداع المدرك بالحواس، الغرض منه سرور النفس وايقاظ الميول وتربية الذوق وترقيق العواطف. او ان معرفة الجمال تؤدى الى هذه الاشياء. قال (جوت) الشاعر الالمانى العبقرى ان الجمال أعظم ما يدعو الى السرور. وهذا الذى يدعو الى السرور يدعو إلى التفكير وقوة الملاحظة

والجمال كمكل الفنون من حيث الاتصال بالفنيين، أنفسهم وميولهم فى ابراز الاشياء وتصويرها على حسب ما توحى اليهم عبقريتهم، وعلى حسب ماهو فى نفوسهم من قوة الادراك والابداع والابتكار ففى الشعر مثلا نجد جملة من الشعراء تقول الشعر فى حادثة واحدة. ولكن كل واحد منهم يمتاز عن سواه فى طرق التفكير وفى طرق التصوير وفى الاسلوب. والمصورون قد يختلفون فى ابراز صورة الشىء الواحد من حيث الصناعة لان كلا منهم سائر على حسب استعداده الفطرى وتربية قواه فى الادراك الذى يختلف باختلاف ميوله وقوة فهمه للاشياء ودرجة نصيبه فى التمييز بين الحسن والقبيح.

ويجمع أنواع الجمال التناسق والتناسب بين الاشياء وذلك يكون فى الالوان والاصوات والالفاظ والاجسام والحركات. فالتناسق فى

الالوان هو فن التصوير وجماله . والتناسق فى الاصوات هو فن الموسيقى والغناء . والتناسق فى الاجسام هو فن النحت وجمال تصوير الانسان. والتناسق فى الحركات هو فن الرقص . والتناسق فى الالفاظ هو فن البلاغة وجمال القول . فالذى يعرف بناء الكلام وكيف يضع اللفظ جوار اللفظ فيتناسب مع الفه ويتشابه معه فى المعنى ويتحد معه فى الاسلوب هو فنى وكلامه بليغ جميل والذى يخرج الصوت مع صوت آخر يتصل به ويتناسب معه هو مغن فنى وصوته جميل . والذى يجمع بين الالوان مع التناسق والتناسب بينها هو مصور وتصويره جميل . ومقياس هذا الجمال كله انشراح النفس وسرورها والميل الى ذلك .

ولكن ليست كل نفس تتحرك بدرجة واحدة أو بسبب واحد فمن الناس من يحب الصراحة والوضوح فى كل شىء أو يحب الحقائق الجلية العريانة — كما يقولون — فان كان مصورا صور المرأة الجميلة كما هى وكما خلقها الله . وصور الحوادث المؤلمة بشكلها المؤلم . وصور مجالس اللهو والطرب بما فيها من السرور والجمال . واذا كان كاتبا أو شاعرا مال الى الصراحة فى القول وكشف مخبآت العقول والافكار وكشف اسرار الحياة بعبارات يحسبها الخلقيون خروجا عن حدود الذوق العام ومروقا من الكمال . وان كان من النساك احب ان يرى البلاغة فى عبارات الوعظ والارشاد وتقويم الاخلاق وتهذيب النفوس أو رغب فى رؤية او عمل صورة قسيس أو مسجد او كنيسة لان هذا هو الجمال فى نظره .

بمثل تلك الميول كانت المذاهب المختلفة فى الفنون وادراك الجمال واختلف الناس فى تعريفه . حتى قال بعضهم ان الغرض من الجمال فهم الحقائق او التوصل الى الخير وفعله . وليس ذلك غير ماعبر به بعض ادباء العرب الذين غلب عليهم الدين بقوله فى تعريف البلاغة ـ « هى مابلغ بك الى الجنة وعدل بك عن النار . وما يصرك موانع رشدك : وعواقب غيك »

* * *

ولا بد لادراك الجمال من تربية الذوق واخذه على فهم دقائق الاشياء فلا يصح الاخذ بآراء الجاهلين بالاشياء . فان الذى لايعرف لغة من اللغات ولا يدرك جمال القول فيها لايصح ان يؤخذ برأيه في بلاغة تلك اللغة . والذى ليس له ميل ولا ذوق لسماع الموسيقى لايسأل عن قطعة موسيقية سمعها أو صوت قيل امامه . . ولقد تتكون الاذواق تكوينا خطأ . فيحكم الانسان حكما خطأ وا كثر مايكون ذلك من جهل الانسان وغروره بنفسه . ولقد يكون هذا الجهل والغرور بالنفس من اشد المصائب فى تكوين اذواق الامم وتربية شخصياتهم الفنية . ويكفى فى ذلك ان يظهر رجل جاهل مغرور بنفسه نشط الفكر يحكم على الشىء حكم الموقن وينشر رأيه بين الناس ليسمم الاذواق ويضلل العقول . لان كثيرا من الناس يأخذون هذه الاحكام كما هى ويبنون عليها آراءهم حتى فى المسائل الفنية البحتة . وكثير من الناس من يندفع الى الحكم على الشىء وهو لايعرف منه الا بعض

الآراء السقيمة لانه لم يتربّ تربية صحيحة لفهم هذه الاشياء فلا يمكنه ان يدركها . قال بعض العلماء اذا وجد انسان بين مائة انسان يعرف ان يفكر فانه لا يوجد انسان بين الف انسان يعرف ان يرى ». الجمال محيط بالانسان فى كل مكان والكون كله مملوء بانواعه . فاذا امكن الانسان ان يدرك ما يحيط به فهم الجمال . واذا امكنه أن يُبرِّز أو يعبر عن ذلك بشكل جميل او بعبارات بليغة كان فنيا بارعا . فان فهم الجمال لا يدعو الى كد القرائح بل الى التأمل فى الوجود وهذا هو سر الفنون الجميلة . وسر النبوغ

احمد ضيف

نقد كتاب تاريخ مصر

فى عهد الخديوى اسماعيل

تأليف حضرة الياس افندى الأيوبى

ان اللجنة العلمية التى تكونت لفحص الكتب التى قدمت للمسابقة لم تحسن اداء مهمتها فظهر الكتاب الفائز وفيه ما يدعو الى الانتقاد الشديد . وان شئت أن تحكم على مبلغ اهتمام اللجنة وتقديرها لواجبها فاقرأ رأيها المنشور فى مقدمة الكتاب .

قدمت اللجنة تقريرها عن الكتاب فى خمسة اسطر اعلنت